العدد 10 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2025
No. 10 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

الأصول النحوية الثابتة عند كبار النحاة

رحمان حمود محمود احمد
وزارة التربية - مديرية تربية محافظة كركوك – مدرس
07709353589
075004951440kork@gmail.com

ملخص البحث:

هدف البحث الحالي إلى دراسة الأصول عند كبار النحاة. تم الإعتماد على المنهج الوصفي لوصف الأصول عند كبار النحاة. أظهرت نتائج الدراسة أن السماع أولى من القياس وفي حالة التعارض بينهما يفضل السماع على القياس وأن القياس في النحو له أهمية كبيرة لوضع القواعد النحوية. كما بينت النتائج أن القياس من الأدلة النحوية الذي حمل فرع على أصل بعلة وإجراء حكم الأصل على الفرع. كما تبين أن سيبويه أصل لمبادئ السماع وذلك من خلال قواعد تضبط أصول الجمع والاستقراء من ناحية الزمان والمكان واتضح أن كبار النحاة اعتمدوا الشعر العربي للاحتجاج به أكثر من المصادر الاخرى كالقرآن الكريم والحديث الشريف. تبين أيضا أن استشهادهم بالحديث كان قليلا لعدم ثقتهم في بعض الأحيان أن ذلك لفظ الرسول ﷺ. أظهرت النتائج أيضا أن السماع والقياس من أهم الأدلة لدى كبار النحاة.

الكلمات المفتاحية: الأصول، النحو، الإحتجاج، القياس، الإستماع، كبار النحاة.

The fixed grammatical principles of the great grammarians

Rahman Hamoud Mahmoud Ahmed
Ministry of Education - Kirkuk Governorate Education Directorate – Teacher

Abstract:

The current research aims to study the principles of listening to the major grammarians. The descriptive approach was used to describe the principles of listening to the major grammarians. The results of the study showed that listening to the meaning of the word is more important than analogy, and in the event of a conflict between the two, listening to the meaning of the word is preferred over analogy, and that analogy in grammar is of great importance for establishing grammatical rules. The results also indicated that analogy is one of the grammatical proofs that links a branch to a root with a reason and applies the rule of the root to the branch. It was also shown that Sibawayh established the principles of listening to the meaning of the word through rules that control the principles of collection and induction in terms of time and place. It was also evident that the major grammarians relied on Arabic poetry as evidence more than other sources such as the Holy Quran and the Hadith. It was also revealed that their use of Hadith was rare due to their lack of confidence in some cases that it was the utterance of the Prophet (peace and blessings be upon him). The results also showed that listening to the meaning of the word and analogy are among the most important proofs for the major grammarians.

Keywords: Origins, Grammar, Argumentation, Analogy, Listening, Great Grammarians.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، أما بعد:

فإن علماء النحو اعتنوا عناية كبيرة بأصول النحو خاصة بعد أن فتح العرب كثيرا من البلدان واعتنق أهلها الدين الإسلامي فتعلموا القرآن ودرسوا اللغة وتكلموا بها فبدأ اللحن يظهر في كلامهم .لذا كان من الضروري أن تنشأ أصول للنحو تستقيه من منابعه وموارده، وهي الأصول التي أطلق عليها السماع والقياس والإجماع واستصحاب الحال. بيد أن اعتمادهم على السماع والقياس حظي بالنصيب الأكبر. ويمكننا القول بأنهما الأصلان اللذان عند كبار النحاة، ومنهم سيبويه وابن جني والأنباري والسيوطي وغيرهم من كبار النحاة من مدرستي البصرة والكوفة.

سؤال البحث:

سعت الدراسة الحالية إلى الإجابة عن السؤال التالي:

1- ما الأصول النحوية الثابتة عند كبار النحاة ؟

هدف البحث:

سعت الدراسة الحالية إلى تحقيق الهدف التالي:

1- معرفة الأصول النحوية الثابتة عند كبار النحاة.

نشأة النحو:

بعد مجيء الإسلام كانت الحاجة ملحة إلى تدوين العلوم، وذلك ليتمكن المسلمون من نشر دينهم في بلدان واسعة على غرار اللغة التي نزل بها القرآن الكريم والدين الإسلامي. وعليه، فقد كانت هناك عوامل أسهمت في نشأة النحو ودراسته وتحديد قواعده، وأهمها:

العامل الديني: فالقرآن الكريم هو دستور المسلمين وحفظه كان من الضرورة بمكان لكي يستمر نشر الإسلام في بقاع الأرض.

العامل القومي: يأتي العامل القومي امتدادا للعامل الديني، فالقرآن الكريم قد وحد جهود المسلمين في كل الأمصار، ولذا فهو محور الجهد الثقافي العربي.

العامل السياسي: أما العامل السياسي فيظهر جليا من خلال اتساع دائرة الإسلام وانتشاره في مواطن كبيرة وكثيرة، والذي بدوره يفرض سيادة لنظام معين ودين معين ولغة معينة. وإذا كان من مقومات الحكم أن تقوم الدولة على لغة يتواصل بها أفرادها فإن ذلك قد دفع اللغويين إلى الإهتمام بهذه اللغة ونشرها، وهي مسألة غير تلقائية وإنما مدفوعة بعوامل سياسية، وهي التي اتجهت بالعلوم العربية، ومنها النحو، إلى الطابع التعليمي ومن ثم التصنيف والتأليف والتدوين.

ومن الملاحظ أن الإسلام نشأ في بيئة تتكلم لغتها بالسليقة، لكن بعد أن توسعت راية الإسلام في مناطق واسعة وبلدان مختلفة دخلت مجاميع بشرية كثيرة من غير العرب واعتنقت الإسلام فظهر الفساد اللغوي وانتشرت على الألسن ظاهرة اللحن. لذا كان لا بد من تأليف المعاجم وتأصيل النحو العربي.

مفهوم النحو:

النحو لغة: القصد "نحا نحوه إذا قصده". وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة. فالنحو هو القواعد التي كان للعلماء دورهم المهم في استخراجها من كلام العرب وذلك نتيجة استقرائهم له[1].

وهو "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير[2]. وقيل هو عبارة عن علم بأصول يعرف بها صحيح الكلام وفاسده[3].

مفهوم أصول النحو:

تأتي كلمة (أصل) في اللغة على معان منها:

-رجل أصيل ثابت الرأي [4] ويطلق على المتفرع عليه كالأب بالنسبة إلى الإبن[5].

-وتستعمل بمعنى الحقيقة.

معنى الأصل في النحو:

يدل الأصل في النحو على المعاني التالية:

-أصل القاعدة بمعنى القاعدة السابقة على القيود والتفريعات مثل قاعدة رفع الفاعل والمبتدأ ونصب المفعول به والحال...[6].

-ويدل على الإستحقاق، وهو ما تستحقه الكلمة مثل استحقاق الإسم في الإعراب.

-أصل التجرد من العلامة، وذلك لأن العلامة زيادة والأصل عدم الزيادة[7].

(1) ابن سراج ،الأصول في النحو.
(2) ابن جني ،الخصائص.
(3) الجرجاني،التعريفات.
(4) ابن منظور،لسان العرب.
(5) الكفوي، الكليات.
(6) تمام حسن،الأصول.
(7) الانباري،الانصاف.

-أصل الكثرة أي هناك ظواهر لغوية مطردة باستمرار ولا يخالفها أي شذوذ مثل اطراد رفع المبتدأ، وقد تكون نسبية ويقصد بها دلالة الأصل على كثرة في الإستعمال غير مطردة مثل التوسع في الظروف تقديما وفصلا لكثرتها[8].

ويفهم من ذلك أن للأصل معنى يقابله وهو الفرع، والمراد به الدليل العام كالسماع والقياس والإجماع

كما أن لفظ الأصل في مجال النحو يراد به المقيس عليه.

تعريف أصول النحو:

هو"علم يبحث فيه عن أدلة الإجمالية، بمعنى كيفية الإستدلال بها وحال المستدل[9]. كما يعرف بأنه الأدلة النحوية التي تفرعت منها فروعه وأصوله[10]. أما حديثا فقد عرف الدكتور مصطفى جمال الدين أصول النحو بأنها عبارة عن الأدلة الإجمالية والقواعد التي من شأنها أن تمهد لاستنباط الحكم النحوي من هذه الأدلة والقواعد[11].

ويمكننا القول أن أصول النحو العربي هي عبارة عن الأسس التي بني عليها هذا النحو في مسائله وتوجيه عقول علماء النحو في آرائهم وخلافهم.

أصول النحو ضمن النظرية اللغوية لدى العرب:

كانت للعرب نظرية لغوية فريدة ومتكاملة تتكون من علوم متنوعة ومختلفة في النحو والصرف والبلاغة والعروض. وتعتبر هذه العلوم نتاجا لتفكير اللغويين في الظاهرة اللسانية عامة. لذا فإن العلوم التي لها علاقة باللسان العربي قد تكاملت مع بعضها ليترتب عليها نظرية شمولية أطلق عليها النظرية اللغوية العربية القديمة.

وكانت من العلوم المشكلة لهذه النظرية علم أصول النحو الذي كان بداية لانطلاق الفكر اللغوي، والذي كان له دوره البارز في ظهور وبناء هذه النظرية وتطوير التفكير اللغوي. فمن الملاحظ أن الدرس اللغوي العربي القديم بني على أساس من هذه الأصول اللغوية ثم توسع ليصبح في إطار الحضارة الاسلامي، فاللغويون العرب القدماء خلفوا علوما مختلفة، وما تركوه لنا يكشف أنهم ارتقوا في بحوثهم اللغوية من مستوى العبارة، وهو مستوى اللغة، وهي في مقامهم اللغة العربية والتي بدورها تعكس الأنظمة المجردة التي تصاغ على منوالها العبارة إلى مستوى الكلام. وعليه، فإن أصول النحو العربي تعد جزءا مهما من هذه النظرية اللغوية.

نشأة علم أصول النحو:

كان العرب في الجاهلية يتكلمون لغتهم حسب سليقتهم فلم يكونوا بحاجة إلى تعلم أصولها ولم يأخذوا هذه اللغة من معلم أو يتعلموها منه لأنهم نشأوا وكبروا وهم لا يعرفون إلا اللغة العربية التي يستعملونها بشكل يومي

(8) الملخ،نظرية الاصل والفرع.
(9) السيوطي،الأقتراح..
(10) ابن الانباري، لمع الادلة.
(11) مصطفى جمال الدين،رأي في أصول النحو.

رغم اختلاف قبائلهم ولهجاتهم. وكان لنزول القرآن الكريم دور كبير في توحيد لهجات العرب ومن ثم تمسكهم بلغته التي كانت أفصح لغات العرب، فقد أنزله الله بلسان عربي مبين[12].

وبعد الفتوحات الإسلامية امتزج العرب بغيرهم من غير العرب، ونتيجة لهذا الإختلاط نشأ اللحن فخاف العرب على لغتهم. ومن ثم كان لزاما عليهم العودة إلى لغتهم التي وحدت لهجاتها القرآن الكريم، وانطلق العلماء إلى البادية للإتصال بالعرب الأقحاح فعملوا على جمع المفردات الفصيحة وحددوا معانيها وأغراضها. وبعد أن قاموا بجمع كمية من الأدب واللغة وبعد رؤيتهم اللحن يتسرب إلى اللغة ويتفشى بين ألسنة العرب أخذوا يفكرون في وضع قواعد وأصول لحماية لغتهم.

وعليه فقد اعتنى علماء العربية بأصول النحو التي وضعوا على أساسها النحو ثم وضعوا أصولا للنحو، وهي السماع والقياس والإجماع والإستصحاب. ومن المعروف أن أصول النحو لم تكن معدومة قبل ابن جني والأنباري. لذا نجد علماء البصرة قد قاموا بضبط السماع وقاسوا على ما اطرد في بابه فاعتنوا بالسماع والقياس وهم على هذا النحو قد طبقوا أصول النحو دون التفكير في إفراد مؤلفات فنشأ علم أصول النحو بالتزامن مع علم النحو، مع العلم أن تاريخ القياس هو تاريخ النحو العربي.

وعليه فقد تردد صدى العبارة الأصولية "النحو كله قياس فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو"[13]. وأول كتاب في علم أصول النحو هو كتاب الأصول في النحو لابن سراج[14]. وأول من عمل على تناول أصول النحو بالدراسة والتنظير ابن جني من غير أن يفرد لها مؤلفا خاصا وضمنها كتابه الخصائص حيث كان جامعا للأصول النحوية وتناولها بالتحليل الدقيق.

ويرى الدكتور سعيد الأفغاني أن ابن الأنباري هو واضع علم أصول النحو، إذ يقول: "لكن أحدا لم يحاول وضع تصميم فن أصولي في اللغة حتى جاء ابن الانباري"[15].

الأصول عند النحاة:

١-السماع:

تعريف السماع لغة:

السماع مصدر، يقال سمعه يسمعه سمعا وسماعا وسماعة[16]. وله في اللغة معان منها:

-الذكر المسموع الحسن الجميل.

-اسم ما وقر في الأذن من شيء تسمعه.

السماع اصطلاحا:

(12) خديجة الحديثي،الشاهد واصول النحو في كتاب سيبوية.
(13) الانباري،لمع الادلة.
(14) أبوالمكارم، اصول التفكيرالنحوي.
(15) الافغاني،الاغراب في جدل الإعراب.
(16) ابن منظور،لسان العرب.

هو عبارة عن أخذ وتلقي اللغة من أفواه العرب الفصحاء وتدوين أعمالهم الشعرية والنثرية ومصاحبتهم لأطول وقت ممكن لمراقبتهم في تعاملهم اللغوي. ويقصد به كذلك ما يسمع عن العرب فيستعمل ولا يقاس عليه، يقال هذا سماعي نسبة إلى السماع، وهو مالم يرد فيه قاعدة كلية تتضمن جزئياته[17].

والسماع كما جاء عند بعضهم مرادف للنقل، "والنقل هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الذي يخرج عن حد القلة الى حد الكثرة[18]. ويعتبر السماع المصدر الأول من مصادر أصول النحو والأساس الذي قامت عليه الدراسات النحوية، والسماع هو الرواية وذلك بأن يكون الراوي سمع بنفسه الرواية. فإن كان بينه وبين الرواية راو أو أكثر فيسمى ذلك رواية لا سماعا، فالسماع هو الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن الناطقين بها، بينما الرواية هي الأخذ غير المباشر للمادة اللغوية.

شروط السماع:

وضع العلماء شروطا جعلوها أساسا للأخذ بموارد السماع من القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب، وهي كما يلي:

-التوتر الذي عد دليلا قطعيا من أدلة النحو.

-الإستعمال اللغوي الذي عد كل ما يخالفه شاذا لا يقاس عليه.

-الأخذ عن فصحاء العرب الذين يقطنون البوادي.

الفرق بين الرواية والسماع:

الرواية في الأصل اللغوي هي الإستقاء، ومن معانيها المزاد فيها الماء، يقال: "رويت القوم أرويهم اذا استقيت لهم[19]. والرواية اصطلاحا هي "جمع المادة اللغوية من العرب، إما بالذهاب إليهم أو تلقيهم[20].

الإتصال بالواقع اللغوي:

لقد تبادر إلى أذهان علماء العربية الأوائل أهمية التواصل والإتصال بالبيئات والبوادي اللغوية للوقوف عن قرب من مورد اللغة، فانطلقوا في جمع الآثار اللغوية من أفواه أصحابها فالتحقوا ببوادي الحجاز والعراق من أجل ملاقاة الأعراب في مواطنهم ومن ثم مشافهتهم. وقد تزامنت عملية النقل اللغوي مع طرائق اللغويين في جمع المادة اللغوية وتوثيق الآثار المحكية.

مشافهة المصدر البشري:

انتقل العلماء الى المصدر اللغوي واتصلوا به مباشرة وذلك عند جمعهم للغة، وقد يختلف المصدر البشري كأن يكون متكلما عاديا او ذا منزلة.

الحد الزماني للسماع:

(17) الجرجاني، التعريفات.
(18) الانباري،لمع الادلة.
(19) ابن منظور ،لسان العرب.
(20) محمدعبدة، الرواية والاستشهاد باللغة.

من المعروف أن الحد الزماني للسماع كان مقبولا الإحتجاج بأقوال عرب الجاهلية والفصحاء في عصر صدر الاسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري، سواء من سكان البادية أو الحضر، وقد استمر الأخذ عن البادية الى القرن الرابع الهجري. وعليه فإن منتصف القرن الثاني الهجري يمثل نهاية الإحتجاج من فصحاء الحواضر ومنتصف القرن الرابع الهجري هو نهاية الاحتجاج بلغة البوادي. وهو ما أشار إليه ابن جني وذكر علة امتناع الأخذ عن أهل المدر والوبر، فقد علل ذلك بما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد اللغوي، ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شئ من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر[21].

الحد المكاني للسماع:

قام العلماء بتحديد قبائل معينة يأخذون اللغة عنها، ومن تلك القبائل قيس وتميم وأسد وهذيل وطيء. ولقد كانت نظرة علماء اللغة ثاقبة إذ فرقوا بين لغة البادية ولغة الحضر وقبائل الوسط وقبائل الأطراف فقد فضلوا أخذ اللغة من البوادي. وكان الذي تولى ذلك من أمصارهم أهل الكوفة والبصرة من العراق فأخذوا عنهم لغتهم دون سكان الحضر، ثم من سكان البراري من كان في أواسط بلادهم ومن أكثرهم توحشا وجفاء وهم قيس وتميم وأسد وطئ وهذيل، فهولاء هم من نقل عنهم العرب. أما الباقون فلم يؤخذ عنهم شيء لأنهم كانوا في الأطراف مخالطين لغيرهم من الأمم إذ تأثرت ألسنتهم بهولاء المحيطين بهم من الفرس والهند والحبشة وأهل الشام ومصر.

وقد أخذ سيبويه من قبائل كثيرة بلغت ثلاث وأربعون قبيلة، وأشهر تلك القبائل التي أخذ عنها بنسب كبيرة هي تميم وأهل الحجاز وقيس وأسد وتغلب ومعد وثمود وبني سليم وثقيف وفزارة وهذيل وبكر بن وائل. ومن الملاحظ أن سيبويه أخذ عن القبائل التي سكنت اطراف الجزيرة العربية، والتي خالطت العجم بحكم الجوار. ومن هذه القبائل التي أخذ عنها تغلب التي جاورت اليونان، وجذام التي جاورت أقباط مصر، وعبدالقيس التي خالطت الهند والفرس، وثقيف التي خالطت تجار اليمن.

ومن الملاحظ أن القبائل التي أخذ عنها البصريون هي بنو أسد وتميم وقيس وطيء وكنانة وهذيل وقريش. أضف الى ذلك فهناك ثمة قبائل وبطون سمع منها البصريون وهي بنو حنظلة من تميم، عقيل من أسد، بنو العنبر وهم حي من تميم، وفزارة وهم بطن من ذبيان من غطفان وهي حي من قيس، سليم وهي قبيلة من قيس.

وهناك أيضا قبائل سمع منها البصريون لا تذكر المصادر أصولها نظرا لتعدد القبائل والبطون التي يجمعها اسم واحد واصولها مختلفة مثل بني عدي وهم من بطون قريش وكنانة وبني حنيفة ولخم وكلب[22]. ومن الملاحظ أن للسماع دور بارز في تقعيد اللغة وقد دفعهم ضبط القرآن لتقييد مفهومه بضوابط الفصاحة التي تتمثل في قبائل معينة وزمان محدد. هذا هو مذهب اللغويين والنحاة إذ كان السماع عندهم مرجع الأدله كلها، وقد كانت للعالم الذي يسمع من العرب ويشافههم ميزة. روي أن الكسائي سأل الخليل من أين علمك هذا؟ فقال "من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي وأنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه[23].

المأخوذ به:

(21) ابن جني، الخصائص.
(22) خالد حسين ،القياس النحوي.
(23) الانباري،نزهة الابناء في طبقات الادباء.

المقصود بالمأخوذ به هو الشاهد النحوي وهو النص الذي يترتب عليه بناء القاعدة النحوية. وقد اعتمد كبار النحاة على مصادر متنوعة اخذوا منها الشواهد النحوية، ومن هذه المصادر:

١-الإستشهاد بالقرآن الكريم:

لم يختلف النحاة على الإستشهاد بالقرآن الكريم، فهو أفصح الكلام وأبلغه. ويعد القرآن الكريم عند سيبويه من اهم المصادر، اذ ضمن كتابه شواهد قرآنية بلغت ثلاثمائة وأربع وسبعون آية حسبما ذكر الخثران[24]، بينما ذكر اخرون انها بلغت أربعمائة وخمس وتسعون آية[25]. وقد كان سيبويه يستشهد بآية واحدة في بعض المواطن دون تكرار آيات أخرى، ويورد الشاهد القرآني ليدعم القاعدة التي توصل اليها. وقد سار نحاة البصرة على نهج سيبويه بالإستشهاد بالقرآن الكريم.

ومن الملاحظ أن سيبويه في كتابه تعامل مع القرآن الكريم والقراءات باعتبارهما حقيقتان متغايرتان، فالقرآن كلام الله الذي انزله على رسوله وتواتره من الضروريات، في حين أن القراءات القرآنية تمثل لغات القبائل العربية ولهجاتها، فإذا ورد تضعيف لبعض القراءات فهو في حقيقة الأمر تضعيف لهذه اللهجة أو تلك التي نطق بها العرب[26].

٢-الإحتجاج بالحديث الشريف:

اختلف نحاة النحو العربي حول مسألة الاستشهاد بالحديث الشريف. ومن الملاحظ أن سيبويه قد اهتم بتعلم الحديث حيث قدم البصرة ليتعلم الحديث، بيد أن قصته مع حماد بن سلمة جعلته يحول اهتمامه الى اللغة والنحو. وعلى الرغم من هجرة سيبويه من الحديث الى النحو بقي أثر للحديث في كتابه، فقد ذكر في كتابه نحو عشرة أحاديث دون الإشارة على أنها أحاديث.

وفي حقيقة الأمر أن سيبويه سار على نهج علماء النحو في مسألة الاحتجاج بالحديث النبوي، ذلك لأن الأوائل الذين قاموا بوضع علم النحو كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وسيبويه والخليل من أئمة البصرة والكسائي والفراء وعلي بن مبارك وهشام الضرير من علماء الكوفة لم يفعلوا ذلك ثم سار على منوالهم المتأخرون من نحاة الفريقين.

يعتبر الاستشهاد والاحتجاج بالحديث أكثر استعمالا لدى اللغويين، وربما كان السبب وراء ذلك هو تداوله وحفظه بالإضافة الى عوامل فنية وجمالية واخرى ذاتية اسهمت في الاهتمام به[27]. ومن الملاحظ استخدام سيبويه في كتابه للشعر بشكل اساسي، فكثيرا ما كان يقول "وهذا في الشعر كثير"[28]. وقد بلغت شواهده الشعرية ألف وستة وخمسين شاهدا، وكان من اهم الشعراء بحسب كثرة شواهدهم عنده الفرزدق وجرير والأعشى ورؤبة وذو الرمة والنابغة الذبياني[29].

ومن الجدير بالذكر أن علماء البصرة قد قبلوا الاحتجاج بأشعار عرب الجاهلية حتى منتصف القرن الثاني الهجري سواء من الحضر او البادية، أضف الى ذلك انهم اعتمدوا الاستشهاد بالشعر بشكل كبير وحصروا

(24) الخثران،مراحل تطور الدرس النحوي.
(25) حبيب عبدالنبي،حقيقة القراءات في كتاب سيبوية.
(26) نفس المصدر.
(27) الخثران،نفس المصدر.
(28) سيبوية،الكتاب.
(29) خالد جمعة،شواهد الشعر في كتاب سيبوية.

هذه الاشعار في شعر الطبقتين من الجاهليين والمخضرمين وقصروا أخذ هذه الاشعار عن قبائل معينة. أما الكوفيون فقد أخذوا الشعر من كل قبيلة وتعلقوا بالشاذ واعتبروه أصلا يقاس عليه، وربما وجدت في شواهدهم الشعرية ما لا ينسب الى قائل معين، ووصل بهم الحال الى الاستشهاد بشطر بيت لايعرف شطره الآخر.

٢-القياس:

مفهوم القياس:

القياس لغة مصدر قاس، يقال قاس الشيء بغيره على غيره، أي قدره على قدره على مثاله، والقياس هو التقدير[30]، وكذلك هو رد الشيء إلى نظيره.

والقياس اصطلاحا هو حمل غير المنقول على المنقول اذا كان في معناه. ويعرف اصطلاحا أيضا بأنه مساواة فرع لأصل في علة حكمه، والقياس في تاريخ الفكر الانساني أنواع: قياس المنطق ، وقياس الفقة، وقياس النحو. فقياس النحو نشأ من تصور النحاة لفكرة الفرع والأصل في النحو، وهو عند العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل[31].

وجه القياس:

الوجه الأول للقياس هو القياس الإستعمالي، وفي هذا الوجه يقول الأنباري "القياس حمل غير المنقول على المنقول اذا كان في معناه". أما الوجه الثاني للقياس فهو القياس النحوي، وهو ثلاثة أقسام: قياس علة، وقياس طرد، وقياس شبه.

أهمية القياس:

للقياس دور مهم في اللغة ذلك لأنه عملية فطرية يقوم بها علماء اللغة، لذا فإن القياس عملية إبداعية من حيث اضافته الى اللغة صيغ وتراكيب جديدة[32].

أقسام القياس:

قام الأنباري بتقسيم القياس النحوي إلى ثلاثة أقسام:

١-قياس العلة:

وهو عبارة عن جعل الفرع على الأصل بالعلة التي علق عليها الحكم في الأصل، وذلك كحمل نائب الفاعل على الفاعل في علة الإسناد فيكون حكمه الرفع، ومن امثلته يقول من منع تقديم خبر (ليس) عليها لايجوز تقديم خبرها عليها قياسا على (عسى) فإنه لايجوز تقديم خبرها عليها، وعلة المنع عدم تصرف الفعل. يقول الأنباري "والشواذ لا تورد نقضا على القواعد المطردة، ألا ترى الأصل في كل واو تحركت وانفتح ما قبلها ان تقلب ألفا، باب ودار الأصل فيها بوب ودور[33].

(30) اليسوعي،المنجد في اللغة.
(31) الانباري ،لمع الادلة.
(32) عبدالعزيز ،القياس في اللغة العربية.
(33) محمد خضير،دراسات في العربية وتاريخها.

٢-قياس الشبة:

وهو حمل الفرع على الأصل بوجه من الشبه غير العلة التي علق عليها الحكم في الأصل، وذلك أن يدل على اعراب المضارع بأنه على حركة الاسم وسكونه، فإن قولك يضرب على ضارب، وكما ان ضاربا معربا كذلك الشبيه له والعلة التي تجمع بينهما جريان الفعل على الاسم في حركاته وسكناته وليست هذه العلة التي أوجبت له الإعراب.

٣-قياس الطرد:

وقياس الطرد هو الذي يتواجد معه الحكم وتفقد الإحالة المناسبة في العلة ،وقد اختلفوا حول حجيته فذهبت طائفة الى عدم الاحتجاج به لأن مجرد الطرد لا يوجب غلبة الظن[34].

أركان القياس:

هناك أربعة أركان للقياس وهي:

١-الأصل:

وهو المقيس عليه ويعني ما اطرد من المسموع عن العرب وهو احكام وقواعد النحو التي وضعها علماء النحو بعد ملاحظة النصوص ومن ثم جعلوا بعضها أصلا يقيسون عليه بعضا آخر[35].

٢-الفرع المقيس:

والمقيس أن يكون فرعا محمولا على أصل.

٣-الحكم:

ويعرف في اللغة بالعلم والفقه والقضاء بالعدل هو مصدر حكم ، وهو ما يجري على الفرع من أحكام الأصل صرفا ونحوا وتعبيرا. وقد قسم علماء النحو الحكم النحوي الى أقسام:

-واجب كرفع نائب الفاعل وتأخيره عن فعله المبني للمجهول وجر المضاف اليه.

-وممنوع كأضداد ما هو مذكور في الواجب.

-وحسن وقبيح وجائز على السواء.

٤-العلة:

(34) عبدالعزيز،نفس المصدر
(35) احمدنحلة،اصول النحو العربي.

العلة لغة: السبب وفي الاصطلاح هي النسبة المشتركة بين المقيس والمقيس عليه. والعلة تنقسم الى كثير من الأنماط:

-علة سماع مثل امرأة ثدياء ولا يقال رجل أثدى ليس لذلك علة سوى السماع.

-علة تشبيه مثل اعراب الفعل المضارع كونه يشبه الاسم.

-علة توكيد كإدخالهم النون الخفيفة والثقيلة في فعل الأمر لتأكيد ايقاعه.

-علة تعويض مثل تعويض الميم في (اللهم) من حرف النداء.

-علة مشاكلة مثل قوله: سلاسلا وأغلالا.

-علة اختصار مثل الترخيم.

- علة تخفيف كالإدغام.

-علة أولى مثل قولهم ان الفاعل أولى برتبته التقديم من المفعول.

إستخدام القياس عند سيبويه:

من المعروف أن سيبويه ليس أول القياسيين في النحو، بل قد سبق من شيوخه من ضرب في القياس بسهم، وقد تضمن كتاب سيبويه أنماطا كثيرة من قياسه في ابواب مختلفة[36]. ومن المنطقي أن تكثر الأنماط القياسية في كتاب سيبويه، ذلك لأنه الأساس الذي يقوم عليه وضع القواعد النحوية والصرفية واطرادها إذ يعتمد الشائع في الإستعمال على ألسنة العرب ، فهو يقيس حذف العائد في النعت على حذفه في الصلة ويقيس اسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة على الفعل المضارع في العمل ويرتب على ذلك انه يجوز في المعمولات معها من التقديم والتأخير والإظهار والإضمار ما يجوز مع الفعل ويقيس عمل إن وأخواتها على عمل الفعل المتعدي، غير ان المنصوب معها يتقدم على المرفوع دلالة على انها ليست أصلا في عمل الرفع والنصب.

ومن الشواهد عن القياس عند سيبويه قياس حذف العائد في النعت على حذفه في الصلة متمثلا بقول جرير:

أبحت حمى تهامة بعد نجد

وما شيء حميت بمستباح

يريد القول أي حميته وهو يقيس المكان المختص على المكان غير المختص في نصبه سماعا[37].

مثل قول الشاعر:

فوردن والعيوق مقعد رابي

(36) الافغاني،في اصول النحو.
(37) شوقي ضيف،المدارس النحوية.

مكانة القياس في استدلال النحو عند سيبويه:

الإستدلال النحوي كما أشار السيوطي أنه يبنى على السماع والقياس والاستصحاب اذا تعدد المسموع او تعددت الأقيسة فإن علماء النحو يلجأون في حالة التعارض والترجيح الى استعمال أدلة أخرى غير هذه الثلاثة كالاستقراء والاستحسان. ومن الملاحظ أن هذه الأدلة الأخرى تعود في النهاية الى السماع أو القياس. لذا يتضح لنا أن أهم الأدلة النحوية على الإطلاق هي السماع والقياس إذ يمثلان بداية البحث النحوي ونهايته وعلى أساس منهما بنى علماء النحو فكرتي الإطراد والشذوذ[38]. قال سيبويه (لاتقيس مع وجود السماع لأن السماعي المشهور غير الشاذ القليل يفضل قياسي).

آراء ابن جني في القياس:

لقد رأى ابن جني أن القياس من أصول القواعد النحوية غير السماع والاجماع ومن أهم آرائه:

-أشار ابن جني على كل ما يقاس على كلام العرب فهو كلام العرب.

-اهتم ابن جني بالمقاييس العربية وقام بتقسيمه الى نوعين: لفظي ومعنوي وهو يفضل القياس المعنوي على اللفظي.

-رأى ابن جني اسبقية القياس وتفضيله عند التعارض بين القياس والسماع.

-رأى ابن جني في الشي يرد فيوجب له القياس حكما ويجوز ان يأتي السماع.

-رأى ابن جني في جواز القياس على ما يقل ورفضه فيما هو أكثر منه.

لقد كان اهتمام ابن جني بالقياس كبيرا ويتضح ذلك من خلال تضمين كتابه باب سماه (ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب. ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولاغيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وإنها سمعت البعض فقست عليه غيره[39].

وعليه يتضح لنا من هذا القول ما يلي:

-القياس مع الاستعمال يجعل نظام اللغة متجددا.

-القياس مساير للطبيعة اللغوية.

-احتواء كلام العرب ضمن النظام اللغوي ومايقع خارج هذا النظام شاذا ولا يقاس عليه.

(38) تمام حسن،الاصول.
(39) ابن جني، الخصائص.

-مرونة القياس تجعل النظام اللغوي مرنا يستجيب لمتطلبات التواصل من جهة ومتطلبات التطور من جهة أخرى.

لقد تجاوز ابن جني استعمال القياس الذي كان سائدا في عصر تدوين اللغة خصوصا مع النحاة القدماء مثل بن أبي اسحاق الذي تحدث المصادر التاريخية أنه أول من مد القياس وشرح العلل مرورا بالقياس الى مراحل الى ان يصل مع الخليل بن احمد وتلميذه سيبويه الى مرحلة النضج والكمال ووصولا الى القياس في عصر ابن جني بواسطة استاذه أبي علي الفارسي.

رأي ابن جني في تعارض السماع والقياس:

السماع والقياس من الأصول النحوية المهمة عند ابن جني وفي حالة تعارضهما يقول: (اذا تعارضا نطقت بالمسموع على ما جاء عليه ولم تقسه في غيره). فكلامه المؤكد على تفضيل السماع على القياس هو أن الاستعمال إذا ورد بشيء أخذ به وترك القياس لأن السماع يبطل القياس.

مكانة القياس في استدلال النحو عند ابن جني:

كان تعامل ابن جني مع القياس منهجا استدلاليا شكليا، ذلك لأنه يأتي على أمور معلومة تصل الى تقرير أمور مجهولة باعتباره آلة تنظيمية لمادة اللغة. ويمكننا القول أن ابن جني وإن كان اعتماده على قياس البصرة المتشددة فيه، بيد أنه لم يتشدد مثل البصريين ،وعلى سماع الكوفة التي توسعت فيه مع اضافته بعضها ولا توسع ولا تساهل مما يسمع بدخول الشاذ الذي يخرجها على أصولها.

الأصل الثالث من أصول النحو:

٣-الإجماع:

الإجماع لغة يدل على العزم والتصميم ،وهو الاتفاق على الأمر، يقال أجمع القوم على كذا أي اتفقوا عليه. وفي الاصطلاح هو الإجماع الذي تقوم به الحجة في الشريعة[40]. أما في علم أصول النحو فهو اجماع نحاة البلدين البصرة والكوفة على أمر ما. وقد اعتبر السيوطي اجماع العرب من غير النحويين على شيء حجة ان أمكن الوقوف عليه حيث يقول في هذا الشأن (وإجماع العرب أيضا حجة ولكن كيف لنا بالوقوف عليه؟ ومن صوره أن يتكلم العربي بشيء ويبلغهم فيسكتون عنه).

وأما مخالفة الإجماع الواقع من النحاة فقد اختلف في جوازها فأجازها بعضهم ومنعها آخرون. ومن المجيزين ابن جني بشرط عدم مخالفة القائل بها النصوص ولا المقيس على المنصوص.

٤-استصحاب الحال:

استصحاب الحال في اللغة يعني الملازمة وعدم المفارقة. والاستصحاب عند علماء اللغة العربية المراد به استصحاب الأصل في الأسماء والإعراب واستصحاب حال الأصل في الأفعال، وهو البناء حتى يوجد في الاسماء ما يوجب البناء ويوجد في الافعال ما يوجب الإعراب. وعلى الرغم من ان استصحاب الحال من

(40) خديجة الحديثي،نفس المصدر.

الادلة المعتمدة عند الاصوليين الا انه من أضعف الأدلة، وهو رأي النحاة أيضا، اذ يرى الأنباري أن الاستصحاب من أضعف الأدلة ولا يجوز التمسك به اذا ما وجد دليل على خلافه.

الخاتمة والنتائج:

وفي الأخير وبعد رحلة في أعماق الأصول عند كبار النحاة توصل الباحث الى النتائج التالية:

١-أن السماع أولى من القياس وفي حالة التعارض بينهما يفضل السماع على القياس.

٣-القياس في النحو له أهمية كبيرة لوضع القواعد النحوية.

٤-القياس من الأدلة النحوية الذي حمل فرع على أصل بعلة وإجراء حكم الأصل على الفرع.

٥-كما تبين أن سيبويه أصل لمبادئ السماع وذلك من خلال قواعد تضبط أصول الجمع والاستقراء من ناحية الزمان والمكان.

٦-كما اتضح أن كبار النحاة اعتمدوا الشعر العربي للاحتجاج به أكثر من المصادر الاخرى كالقرآن الكريم والحديث الشريف.

٧-كما تبين أن استشهادهم بالحديث كان قليلا لعدم ثقتهم في بعض الأحيان أن ذلك لفظ الرسول ﷺ.

٨-استخدام القياس عند ابن جني والآراء والأفكار عند ابن جني في القياس أن كل ما يقاس على كلام العرب فهو كلام العرب.

٩-كما تبين ان الاستشهاد بالإجماع واستصحاب الحال قليلا بل إن من علماء النحو من اعتبرهما من الأدلة الضعيفة.

١٠-السماع والقياس من أهم الادلة لدى كبار النحاة.

الهوامش:

١-ابن سراج ،الأصول في النحو.
٢ابن جني ،الخصائص.
٣-الجرجاني،التعريفات.
٤-ابن منظور،لسان العرب.
٥-الكفوي، الكليات.
٦-تمام حسن،الأصول.
٧-الانباري،الانصاف.
٨-الملخ،نظرية الاصل والفرع.
٩-السيوطي،الأقتراح.

١٠-ابن الانباري، لمع الادلة.
١١-مصطفى جمال الدين،رأي في أصول النحو.
١٢-خديجة الحديثي،الشاهد واصول النحو في كتاب سيبويه.
١٣-الانباري،لمع الادلة.
١٤-أبوالمكارم، اصول التفكيرالنحوي.
١٥-الافغاني،الاغراب في جدل الإعراب
١٦-ابن منظور،لسان العرب.
١٧-الجرجاني، التعريفات.
١٨-الانباري،لمع الادلة
١٩-ابن منظور ،لسان العرب.
٢٠-محمدعبدة،الرواية والاستشهادباللغة
٢١-ابن جني، الخصائص،
٢٢-خالد حسين ،القياس النحوي.
٢٣-الانباري،نزهة الابناء في طبقات الادباء.
٢٤-الخثران،مراحل تطورالدرس النحوي.
٢٥-حبيب عبدالنبي،حقيقة القراءات في كتاب سيبويه.
٢٦-نفس المصدر.
٢٧-الخثران،نفس المصدر
٢٨-سيبويه،الكتاب
٢٩-خالد جمعة،شواهد الشعر في كتاب سيبويه.
٣٠-اليسوعي،المنجد في اللغة
٣١-الانباري ،لمع الادلة
٣٢-عبدالعزيز ،القياس في اللغة العربية
٣٣-محمد خضير،دراسات في العربية وتاريخها
٣٤-عبدالعزيز،نفس المصدر
٣٥-احمدنحلة،اصول النحو العربي
٣٦-الافغاني،في اصول النحو
٣٧-شوقي ضيف،المدارس النحوية
٣٨-تمام حسن،الاصول
٣٩-ابن جني الخصائص
٤٠-خديجة الحديثي،نفس المصدر.

المصادر والمراجع:

1. ابن السراج، محمد بن سهل(١٩٩٦). الأصول في النحو، دار الرسالة.
2. ابن جني،أبو الفتح عثمان(٢٠٠٦). دار الكتب للطباعة والنشر،بيروت.
3. الجرجاني،علي بن محمد الشريف(١٩٨٥). التعريفات،مكتبة بيروت للطباعة والنشر،بيروت،لبنان.
4. ابن منظور(١٩٩٧)،لسان العرب،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،لبنان.
5. الكفوي،(١٩٩٨)،الكليات،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان.
6. حسن،تمام(٢٠٠٠)،الأصول،عالم الكتب للطباعة والنشر،القاهرة.
7. الانباري،عبدالرحمن بن محمد(١٩٤٥)،الإنصاف في مسائل الخلاف،مطبعة الاشتقاق.
8. الملخ،حسن خميس(٢٠٠١)،دار الشروق للطباعة والنشر،عمان،الأردن.
9. السيوطي،جلال الدين(١٩٨٩)،الأقتراح في أصول النحووجدله،دارالقلم للطباعة والنشر،دمشق ،سوريا.
10. الانباري،عبدالرحمن بن محمد(١٩٥٧)،الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو،دار الفكر للطباعة والنشر،دمشق، سوريا.
11. جمال الدين، مصطفى،رأي في أصول النحو وصلته بأصول الفقة.
12. الحديثي ،خديجة(١٩٧٤)،الشاهدوأصول النحو في كتاب سيبويه،مطبوعات جامعة الكويت.
13. أبو المكارم،علي(٢٠٠٦)،أصول التفكير النحوي، دارغريب للطباعة والنشر،القاهرة،مصر.
14. عبده،محمد(١٩٧٦)، الرواية والاستشهادباللغة،عالم الكتب للطباعة والنشر،القاهرة،مصر.
15. أبو عمشة،(٢٠١٥)،القياس النحوي،الشاملة الذهبية.
16. الانباري،عبدالرحمن بن محمد(١٩٨٥)،نزهة الأبناء في طبقات الأدباء،مكتبة المنار،الأردن.
17. الخثران،عبدالرحمن بن محمد(١٩٩٣)،مراحل تطور الدرس النحوي،دار المعرفة للطباعة والنشر،مصر.
18. عبدالله عبدالنبي،حبيب(٢٠١٢)، حقيقة القراءات القرآنية في كتاب سيبويه، مجلة دراسات البصرة.
19. جمعة ،خالد(١٩٨٩)، شواهد الشعر في كتاب سيبويه، الدار الشرقية للطباعة والنشر،مصر.
20. اليسوعي،لويس مألوف(١٩٨٧)،المنجدفي اللغة والإعلام،دار المشرق للطباعة والنشر،بيروت،لبنان.
21. محمدحسن،عبدالعزيز(١٩٩٥)،القياس في اللغة العربية،دار الفكر العربي للطباعة والنشر،القاهرة،مصر.
22. حسين،محمدخضير(١٩٦٠)،دراسات في العربية وتاريخها،المكتب الاسلامي،دمشق،سوريا.
23. نحلة،محمودأحمد(١٩٨٧)،أصول النحوالعربي، دارالعلوم العربية للطباعة والنشر،بيروت.
24. الأفغاني،سعيد(٢٠١٥)،في أصول النحو،المكتب الاسلامي.